﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤﴾ [العنكبوت: 64]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

من مظاهرِ غيابِ العقلِ تفضيلُ الدُّنيا على الآخِرة

بعدَ أنْ ذكرتِ الآياتُ السّابقةُ إقرارَ الكافرين بأنَّ الَّذي خلقَ السَّمواتِ والأرض، وسخّر الشّمسَ والقمرَ، وأنْزلَ من السَّماء ماءً فأحيا به الأرضَ من بعدِ موتِها؛ هو الله جلَّ في علاه، وأنَّ ما يفعلونَه من الإشراكِ به، وجحودِ نِعَمِه، ما هو إلّا دليلٌ على ذَهابِ عقول كثيرٍ منهم، جاءتْ هذه الآيةُ لتبيّنَ حقيقةَ الدّنيا التي يتنافسونَ فيها، ويتكالبونَ على متاعها، ببيان أنَّها لا تُساوي شيئًا بالنِّسبة للدّارِ الآخرةِ التي تُعَدُّ الحياةَ الحقيقة، التي يجبُ على الناس أنْ يعمَلوا لها، ويجتهدوا لإحسانِ العيش فيها، كما أنّ تفضيلَ الحياة الدنيا عليها يعدُّ مظهرًا من مظاهرِ ذَهابِ العقل، وغَيبوبةِ الفكرِ التي هي حالُ المشركينَ وديدنُهم.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لَهۡوٞ﴾: (لهو) أصْلٌ يَدُلُّ عَلَى شُغْلٍ عَنْ شَيْءٍ بِشَيْءٍ، وكُلُّ شَيْءٍ شَغَلَكَ عَنْ شَيْءٍ، فقَدْ ألْهاكَ. "ولَهَوْتُ مِنَ اللَّهْوِ، ولَهيتُ عَنِ الشَّيْءِ، إذا تَرَكْتَهُ لِغَيْرِهِ"[1]، واللَّهْوُ: ما شغَلَكَ مِن هوىً أوْ طرَبٍ، لَها يَلهو، والتَهَى بامرأتِه فهيَ لَهْوَتُهُ[2]، وألْهَى وتَلهَّى واستَلْهى ولاهَى، وتقولُ: ألْهاني فلانٌ عَن كَذا وكَذا، أي: شَغلَني وأنساني[3]، و"اللَّهْوُ: ما يَشْغَلُ الإنسانَ عمّا يَعنيه ويُهِمُّه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ﴾ [محمد: 36]، وقال: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ﴾، ويُعبَّر عن كلِّ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لهو).
(2) الخليل، العين: 4/ 87.
(3) الأزهري، تهذيب اللغة: 6/ 225.

ما به استمتاعٌ باللَّهْوِ"[1]، والمرادُ به في الآية كلُّ ما يَشْغَلُ منَ الأمورِ الحقيرةِ عنِ الأمورِ العظيمة.

2) ﴿وَلَعِبٌۚ﴾: (لعب) "كَلِمَتانِ مِنْهُما يَتَفَرَّعُ كَلِماتٌ، إحْداهُما: اللَّعِبُ مَعْروفٌ، والتِّلْعابَةُ: الكَثيرُ اللَّعِبِ، والمَلْعَبُ: مَكانُ اللَّعِبِ، واللِّعْبَةُ: اللَّوْنُ مِنَ اللَّعِبِ، واللَّعْبَةُ: المَرَّةُ مِنْها، والْكَلِمَةُ الْأُخْرَى اللُّعابُ: ما يَسيلُ مِنْ فمِ الصَّبيِّ"[2]، "ويقال: لَعَبَ يَلْعَبُ لَعْبًا: سالَ لُعابُهُ، ولَعِبَ فلان: إذا كان فعلُه غيرَ قاصدٍ به مَقصَدًا صحيحًا"[3]، واللَّعبُ في الآية معناه: ما يخرجُ منهُ المرءُ بلا طائلٍ ولا فائدةٍ.

3) ﴿ٱلْحَيَوَانُۚ﴾: (حيي) أصْلانِ أحَدُهُما خِلافُ المَوْتِ، والآخَرُ الاسْتِحْياءُ الَّذي هوَ ضِدُّ الوَقاحَةِ، فأمّا الأوَّلُ فالحَياةُ والحَيَوانُ، وهوَ ضِدُّ المَوْتِ والمَوَتانِ[4].

"والحَيَوانُ: مقرُّ الحياةِ، ويقالُ على ضربين؛ أحدهما: ما له الحاسّة، والثاني: ما له البقاء الأبديّ، وهو المذكورُ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾، وقد نبّهَ بقوله: ﴿لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُۚ﴾ أنّها الحيَوانُ الحقيقيُّ السّرمديُّ الَّذي لا يَفنى، لا ما يبقى مدّةً ثمَّ يَفنى"[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الجهلُ بالحقائق يُؤدّي إلى الانشغالِ بالحياةِ الفانيةِ عنِ الحياةِ الباقيةِ

قارنتْ هذه الآيةُ الكريمةُ بين الحياةِ الدُّنيا والدارِ الآخرة، فبيّنت أنّ الأوْلى فانيةٌ لا خلودَ فيها، زائلةٌ لا بقاءَ معها، حقيرةٌ لا قيمةَ لها، وأنّه لا يخرجُ شيءٌ منها عن اللَّهْو واللّعب، اللَّذَيْن يتسلَّى بهما الصِّغارُ والصِّبيان، في حين أنّ الدارَ الآخرةَ هي الحياةُ الحقيقيّةُ،

(1) الراغب، مفردات القرآن: (لهى).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لعب).
(3) الراغب، مفردات القرآن: (لعب).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حيّ).
(5) الراغب، مفردات القرآن: (حيي).

لأنّها الباقيةُ بقاءً سرمديًا، لا فناءَ بعده، ولأنّ نعيمَها دائمٌ لا زوالَ له، ولا يُقارنُ به أيُّ نعيم سواه، وأنَّ كثيرًا من الناس لا يعلمونَ تلك الحقائقَ، أوْ يتجاهلونَها، إذ لو كانوا على علْمٍ بها أهمَلوا الحياةَ الفانية، وفضَّلوا عليها الحياةَ الباقيةَ.

فترشدُ الآيةُ الكريمة إلى بيانِ حقارةِ الدنيا وتفاهتها، وعظمةِ الآخرة وعلوِّ قيمتها؛ فلذا أحمقُ الناس وأشدُّهم سفاهةً مَن يَعْمى عن الآخرة ويكفرُ بها، ويُبصرُ الدُّنيا ويُؤمنُ بها، وإلى أنَّ مِن لوازمِ الحياة الكاملة أنْ تكون أبدانُ أهلِها في غاية القوَّة، وقواهم في غاية الشِّدَّة؛ لأنَّها أبدانٌ وقوى خُلقت للحياة، وأن يكون فيها كلُّ ما تكملُ به الحياة، وتتمُّ به اللّذّات، من مُفرحات القلوب، وشهَوات الأبدان، من المآكل، والمشارب، والمناكح، وغير ذلك[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواو في أول الآية:

الواوُ في جملة: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ﴾ استئنافيّةٌ، وأوثر الاستئنافُ لما له من فائدةِ تنبيهِ المُخاطبين، ولفتِ أنظارِهم إلى مُغايرة ما بعدَه لما قبلَه، وأنَّه منفصلٌ عنه في الحُكم والمضمون، ما يعني ضرورةَ الاعتناء بالمعنى المُستأنَف، وأخذِه على محمَلِ الجدِّ والاهتمام، وجيء بـ(الواو) لتنبيهِ المخاطبينَ ولَفْتِ أنظارهم إلى حقيقةِ الحياةِ الدنيا، وأنّ عليهم أنْ يَعوا هذه الحقيقةَ ويعلَموها، ويعملوا لها؛ لأنّ الجهل بها يدفعُهم إلى السَّير على منهج السّابقين في الغفلةِ عن الحياة الحقيقيَّة، والاهتمامِ بالحياةِ الزّائفة.

التنبيهُ إلى عدمِ الانشغالِ بالحياةِ الفانية

دلالة النفي بـ: (ما):

في جملة: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ﴾ أوثر التعبيرُ بحرفِ النفي (ما)؛

تقريرُ معنى الحياةِ الدنيا

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن: 1/ 635، والجزائري، أيسر التفاسير: 4/ 152.

لأنه يدلُّ بمعناه وبنائِه المشتملِ على حرف المدِّ في آخره على بلوغِ النفي مدًى لا حدودَ له، ولا احتمالَ معَه لأنْ تكون حقيقةُ الحياةِ الدنيا على خلاف اللَّهوِ واللّعب، الذي جزمتْ به الآيةُ الكريمةُ.

الغرض من التعبير باسم الإشارة:

لا ينبغي إعطاءُ الحياة الدنيا أكبرَ من حجمها

في الإشارة إلى الحياة الدنيا باسمِ الإشارةِ الموضوعِ للقريبِ في قوله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾ تأكيدٌ لحقارتِها، وتقليلٌ من شأنها[1]، وتنبيهٌ إلى ضرورةِ إنزالها المنزلةَ المُستحقَّة، وعدمِ الاهتمامِ الزائدِ بها، أوْ إعطائِها حجمًا أكبرَ من حقيقتِها ومكانتها الحقيقيّة، تنزيلًا لدنوِّ منزلتِها وانحطاطِ مَرتبتها منزلةَ الشّيءِ القريبِ المطروحِ أمامَ الجميع لقلَّة قيمته، يُقوّيه وصفُها بالدنوِّ المُشعرِ بالقُرب وقلّةِ الفَخامة، وقَصْرُها على اللّهْو واللّعب، كما أنَّ اسمَ الإشارة يدلُّ على تعريفِ الشيءِ أكملَ تعريفٍ، بتمييزِه عن غيره ليدلَّ ذلك التمييزُ للمشارِ إليه على حضورِهِ في الذِّهن أكملَ حضورٍ، فلا إبهامَ يَعتريه ولا غموضَ يَكتنفُه، ومن المعلوم أنَّ المشارَ إليه وهو ﴿ٱلْحَيَوٰةُ﴾ الموصوفةُ بـ﴿ٱلدُّنْيَآ﴾ أمرٌ معنويٌّ غيرُ محسوس، فيكون في استعمال الإشارة معه مجازٌ استعاريٌّ بتنزيلِ المعنويّات منزلةَ الحسيّات.

وفي الإشارةِ أيضًا نوعٌ من التخصيصِ غيرِ الاصطلاحيِّ، وبه يكون المعنى: إنَّ حقيقةَ هذه الحياةِ التي تَعيشونَها، وتتكالبونَ عليها، وينسى كثيرٌ منكم الدارَ الآخرة بسببها، ما هي إلا لَهْوٌ ولَعِبٌ؛ وذلك لئلّا تذهبَ عقولُ المرضى والتائهينَ من المخاطبينَ إلى شيءٍ آخرَ غيرِ ما يريدُ البيانُ تحديدَه وتخصيصَه.

سرُّ انفراد هذه السّورة باسم الإشارة:

وردَ الجمعُ بين (اللّعب واللّهو) في أكثرَ من سورةٍ في القرآن

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/ 463.

إذا سبقَ ذكرُ الدنيا عُبِّر بالإشارة، وإذا سبقَ ذكرُ الآخرة تُرِكَتْ

الكريم، ففي سورة (الأنعام) يقول تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [الأنعام: 32]، وفي سورة (محمد) ﷺ يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [محمد: 36]، وفي سورة الحديد: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الحديد: 20]، بجانب الآية التي معنا من سورة العنكبوت.

ومن الملحوظ أنّ آيةَ سورة العنكبوت انفردت مِنْ بين سور القرآن التي وردَ فيها هذا المعنى بالتعبير باسم الإشارة: ﴿هَٰذِهِ﴾، والسرُّ في ذلك أنَّ هذه السّورةَ لم يتقدَّم فيها ذكرُ الدّنيا وما يقتضي تحقيرَها، فجيء باسم الإشارةِ لإفادة تحقيرها وتأكيدِه، أمّا آية سورة الأنعام فتقدَّم قولُه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ [الأنعام: 31]، فذكرَ لهم في تلك الآيةِ ما يظهرُ لهم إذا جاءتهم السّاعةُ من ذهابِ حياتِهم الدنيا سُدى[1]، وفي سورة محمد ﷺ لم يُذكر اسمُ الإشارة؛ لأنَّ الحديثَ موجَّهٌ للمؤمنينَ الَّذين يعرفونَ حقيقتها، ولا يحتاجونَ إلى ما يخصِّصُها، وكذلك السّياق في سورة الحديد، يقول الرازي: "قالَ اللَّهُ تَعالَى في سورَةِ الأنعام: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾ [الأنعام: 32]، ولم يقل: (وما هذه الحياة)، وقال هاهنا: ﴿وَمَا هَٰذِهِ﴾، فنَقولُ: لِأنَّ المَذْكورَ مِنْ قَبْلُ هاهنا أمْرُ الدُّنْيا، حَيْثُ قالَ: ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ [العنكبوت: 63] فقالَ هَذِهِ، والمَذْكورُ قَبْلَها هُناكَ الآخِرَةُ: ﴿يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام: 31] فلَمْ تَكُنِ الدُّنْيا في خاطِرِهِمْ، فقالَ: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾ [الأنعام: 32]"[2].

نوع (أل) ودلالتُها:

(أل) في قوله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾ هي لامُ العهد

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 31.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 75.

الحضوريّ التي تدلُّ على شيءٍ حاضرٍ عندَ المخاطَب وإن كانَ معقولَ المعنى غيرَ محسوسٍ، أي: إنّ الحياةَ التي يعهدُها الناسُ على اختلافِ أحوالهم فيها ما هي إلا كما وصفَتْها الآيةُ الكريمة، وأنَّها إذا ازّينَتْ لأحدهم، أوْ حَلَتْ لبعضِهم، أوْ مالتْ لأكثرِهم، فهو ميلٌ زائفٌ، ونعيمٌ ذاهبٌ؛ لأنَّ حقيقتَها لن تخرجَ عمّا يَتلهّى به الصّبيانُ، ويلعبُ بهِ الغِلْمانُ، وما الغرضُ من تعيينِها بالإشارةِ أوَّلًا وباللّام العهديَّة ثانيًا؛ إلّا لإكمالِ استحضارِها في ذهن المخاطَب وتحديدِها بكافّة مشخِّصاتها ليترتّبَ الحكمُ عليها أكملَ ترتُّبٍ بأعلى وقعٍ في النَّفس.

الحياة الدنيا مهما حَلَتْ فهي كاذبةٌ زائلةٌ

نكتةُ النّعت باسمِ التفضيل:

في وصف ﴿ٱلْحَيَوٰةُ﴾ بـ﴿ٱلدُّنْيَآ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ تأكيدٌ لحقارتها، وزيادةُ تنفيرٍ منها، وتقويةٌ لازدرائِها المفهومِ من الإشارة إليها بـ﴿هَٰذِهِ﴾، والمعنى: أنّ طبيعة هذه الحياة، التي من صفاتها أنّها دانيةٌ وأدنى من غيرها؛ إذِ ﴿ٱلدُّنْيَآ﴾ اسمُ تفضيلٍ مؤنّثُ (أدنى)، وما كانَ أدنى من غيرِه كان حقيرًا بالنِّسبةِ إليه، فالواجبُ على العُقلاء عدمُ الاكتراثِ بها، وعدمُ التصارع عليها، والانصرافُ عنها إلى ما هو خيرٌ وأبقى، وأفضلُ وأعلى منها.

العقلاءُ ينصرفونَ عن كلِّ ما هو حقيرٌ

مزيّة الاستثناء بـ﴿إِلَّا﴾:

التعبيرُ بـ(ما) و﴿إِلَّا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ يمنح الأسلوب مزايا كثيرة، منها: الإثارةُ والتشويقُ إلى الخبر الَّذي يأتي بعدَ ﴿إِلَّا﴾، والموضِّح حقيقةَ الدنيا، وأنّها لا تخرجُ عن اللّهو واللّعب، فإذا ورد بعدَ تطلُّعِ النّفوس إليه ثبتَ فيها، وتمكّن منها؛ لأنَّ المعنى إذا أُلقي على سبيل التشويق، تطلّعتِ النفسُ إلى معرفتِهِ على سبيل التصريح، فتتوجّهُ إلى ما يردُ بعد ذلك،

التشويق إلى معرفة حقيقة الحياة الدنيا لتثبت في نفوس المتلقّين

فإذا أُلقي تمكّنَ فيها فضلَ تمكُّنٍ، وكان شعورُها به أتمَّ[1]، وفي إيثارِ التعبير به دلالةٌ على أهميَّة المعنى المراد ترسيخُهُ.

نوع القَصْر وبلاغته:

تنزيلُ الأشياء في استحقاقاتِها كمالٌ عقليٌّ ونفسيٌّ

من مزايا قوله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ أيضًا أنَّه قَصَر الحياةَ الدُّنيا على كونها لهوًا ولعبًا، قَصْرَ موصوفٍ على صفة، قصرًا حقيقيًا ادّعائيًّا، بطريق النّفي والاستثناء؛ تقويةً للمعنى وزيادةً في تأكيده، من خلال نفي أيّةِ صفةٍ عن الحياة الدّنيا، ثمَّ إثباتِ صفتَي اللّهْوِ واللّعب لها، دون غيرِهما من الصِّفات.

وأوثرَ التعبيرُ عن ذلك بطريق النفي والاستثناء؛ لأنه يمتاز عن غيره من طرقِ القَصْرِ بكونِه يُستعملُ عندما يكونُ الكلام موجّهًا إلى مخاطَبٍ شديدِ التمسُّك بما هو عليه، شديدِ الرّفض لكلِّ ما عداه، ذلك أنَّ أفعالَ المخاطبين من الكافرين تُنْبِئُ عن شدّة اهتمامِهم بالدنيا، وواسعِ إهمالهم للدّار الآخرة، فكأنَّهم ينكرونَ هذا الحُكمَ ويُبالغونَ في نفيِه، فكان لا بدَّ من بيان حقيقةِ الأولى بأسلوبٍ قويّ التأكيد، شديدِ التأثير؛ عسى أنْ يُدركوا خطأ ما هم فيه، ويتراجعوا عمّا هم عليه.

دلالةُ التنكير في ﴿لَهْوٌ﴾:

لا ينشغلُ بالدنيا عن الآخرة إلّا صِبيانُ العقول وكلُّ غافلٍ جَهولٍ

جاءَ البيان الكريم بالمقصور عليه: ﴿لَهْوٌ﴾ نكرةً للتحقير من شأنِ الدنيا، والتقليلِ من أهمّيَّتِها، والتنفيرِ من الإقبال عليها والانشغالِ بها؛ لدلالته على أنَّها تُلهي من ينشغلُ بها عمّا ينفعُهُ في حياته السَّرْمديَّة الباقية، وعُطِف عليه ﴿وَلَعِبٌ﴾ نكرةً أيضًا تأكيدًا لذلك وتقويةً، لأنّه يدلُّ على أنّ المنشغلينَ بها هم صبيانُ العقول، وكلُّ غافل وجهول[2]، ما يكونُ أيضًا سببًا في نفور العُقلاء من الإقبال عليها، وتوجيهِ اهتمامهم إلى الحياة الحقيقيَّة الأبديَّة.

(1) الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح: 1/ 117.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 5/ 577.

سرُّ تقديمِ اللَّهو هنا، وتقديم اللَّعب هنالك:

يُقدَّم اللَّهوُ عند الحديث عن اللّاهين، ويُقدَّم اللَّعبُ لأنه أسبقُ في الوقوع

قَدَّم البيانُ القرآنيُّ اللَّهْوَ على اللّعب هنا، وفي سورة الأعْراف: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ [الأعراف: 51]، وقَدَّم اللّعبَ على اللّهو في الأنعام: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ﴾ [الأنعام: 32] وفي: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ [الأنعام: 70]، وفي القتال: ﴿إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ﴾ [محمد: 36]، وفي الحديد: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ﴾ [الحديد: 20]، وإنَّما قدَّمَ اللّعِبَ في الأكْثَر؛ لِأن اللّعب زَمانُه الصِّبا، واللَّهْوَ زَمانُه الشَّباب، وزمانُ الصِّبا مقدّمٌ على زمان الشَّباب ...، وقدَّمَ اللَّهْوَ في الأعْراف؛ لِأن ذَلِك في القيامَة، فذكرَ على تَرْتيب ما انْقَضى، وبَدَأ بِما بِهِ الإنْسان انْتهى من الحالَتَيْن، وأما في العنكبوت، فالمُراد بذكرها زمانُ الدُّنْيا، وأنَّه سريعُ الانْقِضاء قَليلُ البَقاء، ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ﴾، أي: الحَياة الَّتي لا أمدَ لَها ولا نِهايَة لأبدها، بَدَأ بذكر اللَّهْو لِأنَّهُ في زمان الشَّباب، وهوَ أكثرُ من زمانِ اللّعب وهوَ زمان الصِّبا[1]، يضافُ إلى ذلك أنّ السياق الذي قُدّم فيه اللَّهوُ على اللّعِب في الأعراف والعنكبوت؛ يدلُّ على أنّ المتحدَّثَ عنهم لاهونَ ساهونَ مُنشغلونَ بلهوِ الحياة الدنيا ومتاعها، فاقتضى حالُهم تقديمَ اللّهو على اللّعب[2].

ويمكنُ أن يقال: إنَّ اللَّعِبَ فعلٌ للجوارح وحركةٌ يقومُ بها البدن، واللّهوَ فعلٌ يقومُ به القلبُ ويحلُّ في النفس المنشغلةِ عن الصّواب والنافعِ، فاللعبُ حركةٌ بدنيّةٌ واللهوُ انشغالٌ قلبيٌّ، ولا شك أنَّ اللّهوَ قد يقعُ عقيبَ اللّعبِ، فكان تقديمُ اللّعب على اللّهو من وجهين: أنّه من تقديم السَّبب على المسبَّب، وأنَّ فعلَ الجوارح أبرزُ دلالةً وأوضحُ

(1) الكرماني، البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص: 107، وما بعدها.
(2) المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: 2/ 200.

وقوعًا، وأمّا تقديم اللّهوِ المعنويِّ على اللّعِب الحسيّ فلبيانِ أنَّ الانشغال القلبيَّ بالدنيا أقبحُ ذنبًا وأكثرُ إسرافًا من اللّعب فيها.

وجهُ التعبير بأسلوب القصر في وصف الحياة الدنيا:

قصرها على اللهو واللعب عند جَهل حقيقتها، وعلى متاع الغرور عند مَن اغترَّ بها

تحدّث البيانُ الكريم عن وصف الحياة الدنيا، مُستعمِلًا القصرَ بالنَّفي والاستثناء في أربعة مواضع، هي: آل عمران: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥﴾ [آل عمران: 185]، والأنعام: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ﴾ [الأنعام: 32]، والعنكبوت: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ﴾، والحديد: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠﴾ [الحديد: 20]، حيث قصرها على متاع الغرور في اثنين منهما، وقصرها على اللَّهو واللَّعب في الموضعينِ الآخَرينِ، ومن الملحوظ أنَّ قَصْرَها على متاع الغرور في آل عمران والحديد؛ يأتي في سياق الحديث عمّن غرَّتهم الدنيا بزخرُفها وغرَّهم الشيطانُ والأماني، في حين كانَ قصرُها على اللّهو واللّعب في الأنعام والعنكبوت؛ آتيًا في سياق بيان حقيقتها للّذين لا يعلمون ذلك ولا يعرفونه.

نوعُ التشبيه وبلاغتُه في الآية:

لا فرقَ بينَ الحياة الدنيا واللَّهو واللَّعِب في سُرعةِ الزَّوال وحُصولِ التَّعَب

في جملة: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ﴾ بالإضافة إلى ما سبق بيانُه تشبيهٌ بليغٌ، يُسهمُ في بيان حقيقةِ الدنيا وإيضاحِها لمَنْ يجهلونها، أوْ لمَنْ تدلُّ أفعالُهم على أنّهم يجهلونَها، حيث شُبِّهتِ الحياةُ الدنيا بما يلهو به الصِّبيانُ ويلعبون، من غير أداة؛ للدلالة على أنّه لا فرقَ بينها وبين اللَّهو واللَّعب، في "سرعة الزَّوال، وعدمِ النّتيجة غيرَ التَّعب"[1]، ما من شأنه أنْ يزيدَ التعريفَ بها، والتنفيرَ من الرُّكونِ إليها.

معنى الوصل بالواو:

الواو في قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ لعطفِ ما بعدَها على جملة:

(1) الشهاب، عناية القاضي وكفاية الراضي: 7/ 108.

عطفُ المتناقضات يساعدُ في تجليةِ الحقائق وإبرازها

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ﴾؛ جريًا على منهج النَّظم الكريم في جمع الحَسَن والقبيح في قَرَنٍ واحد، ليظهَر للمخاطبين الفارقُ بينهما، ولتعملَ الصورةُ الجامعة لهما عملَها في نفوسهم، فتُقبِل طواعيةً على العمل للحياة الحقيقيَّة، وتُعطي الحياةَ الزائفةَ ما يناسبها، إذ الضدُّ لا يُظهِرُ حسنَه إلا الضِدُّ، فالجامعُ خياليٌّ بين المتعاطفين لتقارُنِ الضدَّين في الخيال وتداعيهما في المخيِّلة، ويمكن أنْ تكون الواوُ استئنافيّةً؛ جيءَ بها لتنبيهِ المخاطبينَ ولفتِ أنظارهم إلى الدّار الدائمةِ الخالدة، بعد بيانِ حقيقة الحياة الدنيا، وأنّها تُشبهُ اللّهوَ واللّعبَ في سُرعةِ الانتهاء وانعدامِ الفائدة.

دلالاتُ توالي التأكيد:

حالُ أكثر الناس إهمالُ الحياة الحقيقيَّة، وإيثارُ حياةِ اللّهو واللّعب

جاءت جملة: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ﴾ مؤكَّدةً بـ(إنَّ) والجملةِ الاسميَّةِ واللّام الداخلةِ على جملةِ الخبر، المسمّاة باللّام المزحلقة، وضميرِ الفصل، تقويةً وتأكيدًا لمعنى أنّ الدار الآخرة هي الحياةُ الحقيقيّةُ الدائمةُ السَّرمديّة، التي يجبُ على الناس أنْ يستعدّوا لها، ويعملوا لإحسانِ الإقامةِ فيها، وأوثرَ التأكيد بهذه المؤكِّدات مناسبةً لحالِ أكثرِ المخاطبينَ، الّذين يُهملون الآخرة، ويؤثرون عليها حياةَ اللَّهو واللَّعب قولًا وفعلًا، فدَلَّ حالُهم على إنكارٍ وتكذيب، وكان التأكيدُ المتكرِّر مُطابقًا لمُقتضى حالِهم، وفي عطفِ هذه الجملةِ المحفوفةِ بكلِّ هذه المؤكِّدات على الجملةِ المغلَّفة بأسلوب القصرِ الدالِّ على التأكيد أيضًا؛ تلاحمٌ عميق في نفي القيمةِ الكبيرة للحياة الدنيا مُقابلَ إثباتِ الجدارة للحياةِ الباقية، فتشكَّلَ من طرفي الآية تقابلٌ بين صورتين ضدّيَّتين مؤكَّدتين وتناقضٌ عجيبٌ بين حياةٍ سريعةِ الانقضاء مع اهتمامٍ بحالها وحياةٍ باقيةٍ دائمةٍ مع انصرافٍ عنها.

معنى (أل) في ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ﴾:

آثرَ النظمُ الكريم إيرادَ (اللام) الدالّةِ على الجنس والحقيقة

في قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ﴾، للإشارة إلى أنَّ الدار الآخرة هي الدارُ الحقيقيَّة؛ لأنها الدّائمةُ الباقية، وأنَّ الواجبَ على النّاس أنْ يعرفوا ذلك ويعملوا له، وأنْ يتركوا ما هم فيه من اكتراثٍ بحياةٍ قصيرةٍ فانيةٍ سريعةِ الزَّوال والانقضاء، ونلحظُ تباينًا لفظيًّا في الإشارة إلى الحياة الدنيا باسم الإشارة وذكر الدار الآخرة بـ(أل الجنسيّة)؛ إذ دلّتِ الإشارةُ على الضَّعف والتَّحقير مِن شأنِها، ودَلَّت (أل) على العظمةِ والكمالِ فيها.

عـرّفـتِ الـدّارُ ليعرفها طالبها ويسعى إليها

دلالة التعبير عن الآخرة بلفظ ﴿ٱلدَّارَ﴾:

عبّر النظمُ الكريم عن الحياة الآخرة بلفظ: ﴿ٱلدَّارَ﴾، لما يحمله هذا الاسمُ من دلالةٍ على الإقامة وعدم الارتحال[1]، ما يعني أنَّ الدارَ الآخرة هي المستقَرّ، وأنّ الإنسان مهما دارَ في حياته الدنيا فلابد أنْ يعودَ إليها، ليستقرَّ فيها، وفي ذلك ما يدفعُه إلى ضرورة أنْ يُهيّئَها للإقامة والسّكن، وألّا يتركها خرابًا بدون مأوى كريمٍ له فيها ولا مكانٍ إلا النار، ونلحظُ أنَّه عندما تكلَّم النظمُ عن الدنيا سمّاها حياةً مُشيرًا لها بالإشارة التحقيريَّة، وعندما تكلَّم عن الباقيةِ عدلَ عن لفظ (الحياة) وعن الإشارةِ إلى التعريفِ بأل الجنسيّة الدالَّة على الكمال، وسمّاها (دارًا) للإشارة إلى أنَّها المقامُ الحقيقيُّ للإنسان، وكأنَّه في هذه الحياة يعيشُ بلا دارٍ؛ لأنّه مفارقٌ لها لا مُحالة.

على الإنسان أنْ يُنشِئَ له مكانًا في الدار الآخرة، لأنّها الدارُ التي لا ارتحالَ منها

نكتة وصف ﴿ٱلدَّارَ﴾ بـ﴿ٱلْأٓخِرَةَ﴾:

في وصفِ ﴿ٱلدَّارَ﴾ بـ﴿ٱلْأٓخِرَةَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأٓخِرَةَ﴾ دلالةٌ على أنَّها مُؤَخَّرَةٌ عن الدنيا، وأنّها الدارُ التي لا دارَ بعدها، وفيه تأكيدٌ لزوال الدنيا وفنائها، وتقويةٌ لبقاء الآخرة وديمومتها.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (دور).

دلالةُ الجملةِ الاسميَّة الصُّغرى:

عـــزَّتِ الـــدّار فـتـضـافـرتِ المؤكدات

في قوله: ﴿لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ﴾ جملةٌ اسميّةٌ صُغرى تكوّنتْ من ضميرِ الفصلِ الواقعِ مُبتدأ على رأيِ بعضِ النّحويّين وخبره، والمجموعُ في محلِّ رفعٍ خبرُ (إنّ) المؤكّد للجملةِ الاسميَّة الكبرى، والجملتانِ الصُّغرى والكبرى معرّفةُ الطَّرفينِ للدلالةِ على القَصْر والتأكيدِ للحكم، وأما اللّام في ﴿لَهِيَ﴾ فهي اللامُ المُزحلقة، التي تفيد التوكيد، ومن فوائدها في هذه الجملة الصُّغرى الدالّةِ باسميّتِها على الثبوتِ والدَّوام؛ زيادةُ تأكيدِ كونِ الدّارِ الآخرةِ هي دارَ الحياة التي لا فناءَ معها، ولا زوالَ لما فيها، ونلحظُ أنَّ التعبيرَ عن العاجلة كان بجملةٍ اسميّةٍ واحدةٍ، في حين اقتضى الحديثُ عن الدار الباقيةِ بجملتينِ اسميَّتَيْنِ؛ زيادةً في التفرقة بين الحياتينِ وإظهارًا لكمالِ التباينِ بينَهما.

سر التعبير بـ: ﴿ٱلۡحَيَوَانُۚ﴾ دون الحياة:

الـــدارُ الآخـــرة تموجُ بالحركةِ والحياةِ التي لا سُكونَ فيها

عبَّر النظمُ الكريم بمفردة: ﴿ٱلۡحَيَوَانُۚ﴾ دون (الحَياة) التي عبَّر بها عندَ حديثه عن حقيقةِ الدنيا، للمبالغةِ في معنى الحياة الموجودة في الآخرة، والمعنى: أنَّ الدار الآخرة هي دار الحياةِ المستمرّة الدائمة الخالدةِ التي لا موتَ فيها، وما سواها دارُ موتٍ لا حياةَ فيها، إذ "الحيَوان: مصدرُ حيّ، وقياسه: حَيَيان، فقلبت الياء الثانية واوًا ...، وبه سُمّي ما فيه حياةٌ: حيَوانًا ...، وفي بناء ﴿ٱلۡحَيَوَانُۚ﴾ زيادةُ معنىً ليس في بناء (الحياة)، وهي ما في بناء (فعَلان) من معنى الحركةِ والاضطراب، كـ(النزَوان والنَّغَصان واللَّهَبان)، وما أشبه ذلك، والحياة: حركةٌ، كما أنّ الموتَ سكونٌ، فمجيئُهُ على بناءٍ دالٍّ على معنى الحركة، مبالغةٌ في معنى الحياة، ولذلك اختيرت على الحياة في هذا الموضع المقتضي للمبالغة"[1]،

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/ 463.

وبذلك يتمُّ التقابلُ بين العاجلةِ والباقية، فتلك حياةٌ وهذه حيَوانٌ، ولا مقارنةَ بين حياةٍ زائلةٍ وحياةٍ حقيقيّةٍ باقيةٍ، كما تشعرُ الصّيغةُ الصرفيّة الدالةُ على المبالغة أنَّها دارٌ مستمرّة، فيكون مقابلًا موضوعيًّا للَّهو واللّعب المخبَر به عن تلك الحياة، الدالَّيْن على سُرعة الزَّوال وقِصَر المدّة، فكأنَّ النظمَ الجليلَ أزالَ وصفَ الدار عن الدنيا بأنَّها منطقةُ لهوٍ ولعبٍ وليست سُكنى، وأثبتَها للآخرة لأنها محطُّ الإقامة والدوام، وأزالَ البقاء عن الدنيا بأنها مجرّدُ حياةٍ فانية، وأثبتها للآخرة بأنها حيَوانٌ يموجُ بالحركة والسَّيرورة.

نوعُ القَصْر وبلاغتُه في الآية:

لا حياةَ حقيقيّةً إلا الحياةُ الأخرويَّة

في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ﴾ قصرَ النظمُ الكريم صفةَ الحيوان على الدار الآخرة، بعد أنْ نفاها عن كلِّ موصوفٍ آخر، قَصْرَ صفةٍ على موصوف، قصرًا حقيقيًّا، طريقُه توسُّط ضميرِ الفصل بين المسنَد إليه والمسنَد؛ تأكيدًا لمعنى أنَّ الآخرة هي دارُ الحياة الحقيقية، وأنَّ ما سواها لهوٌ ولعبٌ، وترسيخًا له في نفوس المخاطبين، الَّذين شغلهم لهوُ الدنيا ولعبُها عن العمل للآخرة، والاستعدادِ لها.

بلاغة الجناس الناقص:

نقص المبنى دالٌّ على الفناء، وزيادته دالٌّ على البقاء

اشتملَ قوله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ﴾ على كلمتي: ﴿ٱلۡحَيَوٰةُ﴾ و﴿ٱلۡحَيَوَانُۚ﴾ وبينَهما جناسٌ ناقصٌ، حيث تكرَّرت أغلبُ الحروف في الكلمتين بمعنيين مُختلفين، إذِ المقصود بالأولى: الحياة الدُّنيا، والمقصودُ بالثانية: الحياةُ الآخرة، وبجانب ما يفيده الجناس - من تشويقِ النَّفس وتنشيطِ الفكر، للوقوف على المرادِ من اللَّفظين المُتشابهين، ما يساعدُ في تثبيت المعنى في الذِّهن بعد معرفته - فإنَّ الجناس بين كلمتي: ﴿ٱلۡحَيَوٰةُ﴾ و﴿ٱلۡحَيَوَانُۚ﴾ ينبئُ من خلال زيادةِ المبنى في

الكلمة الثانية، وقلّةِ عدد حروف الكلمة الأولى بالكمال والديمومة في الحياة الآخرة، وأنّ الأولى مهما طالت وامتدَّت لا يمكنُ أنْ يصلَ مداها إلى الدار الآخرة، لأنَّها حياةٌ أزليّةٌ سرمديّةٌ لا نهايةَ لها.

بلاغة المقابلة بين الجملتين:

الجمع بين المعاني المتقابلة يزيد الإقبال على الآخرة وينفّر من الدنيا

اعتمدَ النظمُ الكريم على مقابلةِ معنيين في قوله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾، بمعنيين في قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾؛ لما يمتازُ به هذا الفنُّ من عرضِ الأشياء المتناقضة في صورةٍ تجذبُ المتلقّي إليها، وتدفعُه نحو التفكيرِ المفضي إلى التمييزِ بينها، ما يترتّبُ عليه اقتناعُهُ بامتثالِ الحقِّ والعزوف عن الباطل، أوِ العزمِ على فعلِ الحسن الجميل، والبُعد عن القبيحِ المُشين.

ومن مزايا هذه المقابلة: أنَّها قابلت بين الحياة الدنيا في الطّرف الأوّل والدار الآخرةِ في الطَّرف الثاني، وبينَ اللَّهو واللَّعب في الطَّرف الأوَّل، والحيوان في الطَّرف الثاني؛ ليتضحَ من خلال جمعِ هذه المعاني في قَرَنٍ واحد، أيُّ الحياتين أبقى وأدومُ، وأكثرُ نفعًا، وأنعمُ عيشًا، فيعملُ ذلك عملَه في نفوس المتلقّين، فيحصل منهم الإقبالُ على العمل للدّار الآخرة؛ لما لها من منافعَ ومزايا ليست في الحياةِ الدنيا.

سرُّ فصلِ ختام الآية:

الجهلُ سببُ الإعراض عن الدار الآخرة

فُصلت جملةُ: ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ عمّا قبلها؛ لأنّها بمنزلة التعليلِ لإعراضِ الناس عن الدّار الآخرة، وإقبالِهم على الحياة الدنيا، ومِنْ ثمّ فُصلت عنها كما يُفصَل الجوابُ عن السؤال، فيما يسمَّى: شبهَ كمالِ الاتِّصال.

معنى ﴿لَوْ﴾ في ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾:

﴿لَوْ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ حرفُ شرطٍ يفيدُ امتناعَ الجواب لامتناعِ الفعل[1]، والمعنى: لو كانوا يعلمونَ أنَّ هناك حياةً

(1) المرادي، الجنى الداني، ص: 45.

حقيقيةً بعد الموت، وأنَّ هناك نعيمًا سَرْمَديًّا لا يزولُ ولا ينتهي؛ لَما آثروا متاعَ الدنيا الفانية ولهوَها على خيراتِ الآخرة الباقية ونعيمها.

مرجعُ الضَّمير في: ﴿كَانُواْ﴾:

مَنْ لا يعقل لا يعلم

يُفهَمُ من السّياق أنّ مرجعَ الضَّمير المرفوع في الفعل: ﴿كَانُواْ﴾ يعودُ إلى مَن وصفَهم البيانُ القرآنيُّ في الآية السّابقة بقوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [العنكبوت: 63]، وهم الذين أقرّوا بأنّ الَّذي خلقَ السَّمواتِ والأرض وأنزلَ من السَّماء ماءً فأحيا به الأرضَ من بعد موتِها؛ هو اللّه جلَّ في علاه، ومع ذلك لم يُؤمنوا بالورودِ عليه، ولم يَستعدّوا للقائه، وظلّوا لاهينَ بمتاعِ الدنيا الفانية، لاعبينَ بنعيمِها الزّائل.

دلالة التعبير بفعل الكون الماضي:

المُعرضونَ عن الدار الآخرةِ أناسٌ تغلغلَ اللّهوُ في كيانهم

عبَّر النظمُ الكريم في جملة الشَّرط بفعل الكون الماضي في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾؛ للدّلالة على أنّ هؤلاءِ اللّاهين الَّذين يُفضِّلون الحياةَ الدنيا على الآخرة قد تربّوا على ذلك، وشبّوا عليه، وأنّ حبَّ الحياة الدنيا واللّهوَ بما فيها قد تغلغلَ في كيانهم، واختلطَ بدمائهم ولحمهم، حتى غدا سمةً من السِّمات التي لا يُمكنهم الانفكاكُ عنها، ولن يستطيعَ أحدٌ إقناعَهم بأنَّهم على خطأٍ فيها.

دلالة التعبير بالفعل المضارع:

اللّاهون يقاومونَ العلمَ المُفضي إلى القيام بما ينبغي من العملِ للآخرة

أوثر التعبير بالمضارع: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ خبرًا للفعل الناسخ دون نحو: (يعقلون) أو غيره؛ لأنَّ العلمَ هو العاصمُ من الوقوع فيما وقعوا فيه من الاستهانة بأمرِ الحياة الحقيقيَّة الخالدة، والاهتمامِ بالحياة الزائفةِ الفانية، وجيءَ به مضارعًا لما يفيدُهُ من الدلالة على الحال والاستقبال، ما يعني أنَّهم يعيشونَ حالة الامتناع عن العلْم المفضي إلى فعل ما ينبغي في حاضِرهم ومُستقبلهم، لأنّ تكوينهم يرفضُ ذلك ويقاومُه، كما سبق توضيحه، بالإضافة إلى ما يفيدُه المضارع من استحضار الصّورة الماضية كأنَّها حاضرةٌ ماثلة، ونلحظُ في

سلب العلْم عنهم أنَّهم في جهالةٍ كبيرةٍ؛ إذ علِموا الخالق وعرفوه واستبعدوا البعثَ والنشور، وتمسَّكوا بالحياة الفانية وتركوا العملَ والاستعدادَ للآخرة.

نكتةُ حذفِ مفعول ﴿يَعْلَمُونَ﴾:

اللّاهون اللّاعبون يُعرِضون عن جميع ما يردُّهم إلى طريق الآخرة

حذفَ النّظمُ الكريمُ معمولَ: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ للدلالة على إعراضِهم عن جميعِ ما من شأنه أنْ يردَّهم إلى جادَّة الصَّواب، ويأخذَ بأيديهم نحو السَّير في الطَّريق الصَّحيح، والقيامِ بالأعمالِ الدالّة على تفضيلِ الدار الآخرة على الحياة الدنيا، كما يفعل العقلاءُ وأولو العلمِ الموفّقون، ويَحْتمِلُ أنْ يُراد بالفعلِ المتعدّي اللزومُ؛ نفيًا لوجودِ العلم منهم وتحقُّقِه فيهم، وذلك أبلغُ في نفيِ العِلْم أصلًا.

نكتةُ حذف جواب ﴿لَوْ﴾:

في الحذف إلماح إلى هوان الحياة وسرعة فنائها

جوابُ الشَّرط محذوف؛ لكونه مفهومًا من السّياق، والمعنى: لو كان لديهم شيءٌ من العلْم لما آثروا الحياةَ الزائفة الفانيةَ على الحياة الحقيقيّة الباقية، وفي حذفِه إلماح إلى أنّهم تخلَّوا عن البدهيّات المسلَّمات، وتجاوزوها إلى ما لا يصحُّ فعله، ولا ينبغي لهم القيامُ به.

سياقاتُ التعبير القرآنيّ بالتركيب الشرطيّ:

يأتي في سياق الحديث عن الآخرة، وسياق الحديث عن الغيب وأسرار الخلق

وردَ قولُه تعالى: ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ في سبعة مواضعَ من النظم القرآني، في سورة البقرة: الآيتين: 102، 103، وفي سورة النحل، الآية: 41، وفي سورة العنكبوت، الآية: 41، 64 – وفي سورة الزمر، الآية: 26، وفي سورة القلم، الآية: 33.

ومن الملحوظ أنَّ هذا التعبير يأتي أكثرُه في سياقِ الحديث عن الدّار الآخرة وما فيها من ثوابٍ وعقاب، ويأتي عددٌ قليلٌ منه في سياقِ الحديث عن أمورٍ غيبيّةٍ وأسرارٍ خفيّةٍ في كون الله الفسيح، لا يعلمُها أحدٌ غيرُ الله جلَّ في علاه، وفي نفيِ العلْم عنهم في تلك المواطنِ دلالةٌ على عدم تأمُّلهم في الأدلّة والبراهين، وتمسُّكِهم

بالأدنى وتركِهم للأعلى، وعدمِ الجريِ على موجِب الدلائل الصَّريحة، التي لو تعقَّلوها لعلِموا ضلالَهم وإسرافَهم.

سرُّ مغايرةِ التعبير لما في الأنعام:

قالَ تعالى في سورَةِ الأنْعام: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنعام: 32] وقال هنا: ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾، وذَلِكَ لأَنَّ المُثْبَتَ هُناكَ: كَوْنُ الآخِرَةِ خَيْرًا وأنَّهُ ظاهِرٌ لا يَتَوَقَّفُ إلا على العقل، والمثبت هنا: أنْ لا حَياةَ إلّا حَياةُ الآخِرَةِ، وهَذا دقيقٌ لا يُعرفُ إلّا بعلْمٍ نافع[1].

كـــونُ الآخـــرة أفـضـلَ يحتاجُ لعقل، وإثباتُ الحياة الحقّة يحتاجُ لعلمٍ

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

اللّهو واللّعب والهزء:

اللَّهْوَ هو: كل ما يَشْغل الإنسانَ عمّا يعنيه ويُهِمُّه ويكون فيه مصلحتُه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [محمد: 36]، وقال: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾، ويعبّر به أيضًا: عن كلّ ما به استمتاعٌ وترويحٌ عن النّفس بما لا تقتضيه الحكمةُ، ويكونُ متّصلًا بالنّفس والقلب، وأمّا اللّعبُ: فيُطلقُ على الأفعالِ التي لا يقصدُ بها الإنسانُ مقاصدَها الصَّحيحة مع الخلوّ من الحِكمة، وتأتي في المواضع التي لا ينبغي أنْ تكون فيها، ومتصلًا بأفعالِ الجوارح، قال تعالى: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ [الأنعام: 70]، وأمّا الهُزء: فيطلقُ على ما كان غرضُهُ السُّخريةَ والاستهزاءَ من الأقوال والأفعال[2]، قال تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ [البقرة: 67].

الـلَـهـو كـلُّ ما بـه اسـتـمـتـاعٌ، واللّعب ما وُضِع في غير موضعِه، والـهـزء ما كان للسُّخرية

الدّار والبَيْت والمنزِل والمسكَن:

(الدّارُ): تُطلقُ على المنزل اعتبارًا بدورانها الذي لها بالحائط، ودارُ الدّنيا ودارُ الآخرة، إشارةٌ إلى المقرّين في النّشأة الأولى،

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 76.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (هزأ).

والنّشأة الأخرى[1]، ما يعني أنَّها تطلق على كلِّ ما يحملُ معنى الاستقرارِ وعدمِ الارتحال، بخلافِ البيتِ والمنزلِ والمسكَن، أمّا البيت فيطلقُ على: مأوى الإنسان باللَّيل، لأنَّه يقال: باتَ: أقامَ بالليل..، ثمَّ قد يقالُ للمسكن بيتٌ من غير اعتبارِ اللّيل فيه، ويطلقُ المسكَن على المكانِ الَّذي يكون فيه السُّكون، ثمّ يترك للعمل، والمنزلُ يطلقُ على المكان الذي ينزلُه ثمَّ يرتحلُ عنه.

الدار ما يدلُّ على الاستقرار وعدم الارتحال، والبيتُ والمنزلُ والمسكَنُ مؤقّتٌ

العلمِ والفقه والعقل:

العِلْمُ: نَقيضُ الجَهْلِ، ويعني: إدراكَ الشيء بحقيقته من خلال روافدَ وأسبابٍ تُعين عليه، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ [الممتحنة: 10][2]، والفِقْهُ: هو التّوصل إلى علْمٍ غائبٍ بعلْمٍ شاهدٍ، فهو أخصّ من العلْم، قال تعالى: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾ [النساء: 78][3]، والعَقْل: يقال للقوّة المتهيّئة لقبول العلم، ويقال: للعلم الذي يستفيده الإنسانُ بتلك القوّة، وكلُّ ما جاء في القرآن من تركيب هو من قوة الإدراك، نحو قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: 43][4].

العلمُ إدراكُ حقائق الأشياء، والفقهُ أخصُّ من العلم، والعقلُ قوةُ الإدراك

(1) الراغب، مفردات القرآن: (دار).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي: (علم).
(3) الراغب، مفردات القرآن: (فقه).
(4) الراغب، مفردات القرآن، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (عقل).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والأربعون،
سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والأربعون، سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 42 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-93-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 42 : المجلد الثاني والأربعون، سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-93-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2154237 بتاريخ 2024/12/25م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»